

ماهية اسم الفاعل :

يصاغ من الفعل المبني للمعلوم على أوزان مختلفة أشهرها (فاعل)، ويراد به «ما دل على حدث وفاعله جارياً مجرى الفعل في الحدوث والصلاحيّة للاستعمال بمعنى الماضي والحال والاستقبال⁽¹⁾»، فهو يدل على الحدث الذي يتحقق من المصدر... ولا يدل على الثبوت بدرجة ثبوت الصفة المشبهة، ولا يدل على الحدوث أو التجدد بدرجة الفعل، ولكنه أدوم وأثبت في المعنى من الفعل، ودون قوة ثبات الصفة المشبهة في صاحبها، فالصفات مثل: طويل، قصير، كبير... هي صفات ملازمة لمن وصف بها ولا تفارقه، ولكن اسم الفاعل يزول عن صاحبه بزوال ما وصف به مثل قادم، صائم... فالقدوم والصوم غير ملازمين لصاحبها⁽²⁾.

وقد اختلف العلماء فيما يدل عليه اسم الفاعل، فقد ذهب أكثرهم إلى أنه يدل على التجدد والحدوث، وذهب بعض منهم إلى أنه يدل على الثبوت، قال عبد القاهر الجرجاني: (إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدد شيء بعد شيء، فإذا قلت: (زيد منطلق) فقد أثبت الانطلاق فعلاً له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: (زيد طويل وعمره قصير)، فكما لا يقصد هاهنا أن تجعل الطول والقصر يتجدد ويحدث، بل توجبها وثبتها فقط وتقتضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض في قولك: (زيد منطلق) لأكثر من إثباته لزيد⁽³⁾).

وقد يكون عبد القاهر الجرجاني بالغ في مسألة ثبوت اسم الفاعل إلى درجة رقيته إلى ثبوت الصفة المشبهة، إذ إن دلالة اسم الفاعل على الحدث لا تخلو من معنى الثبوت، ولكنه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة.

وعندما كان اسم الفاعل مشبهاً للفعل المضارع لفظاً ومعنى - أما من حيث اللفظ فيشبهه في تتابع حركاته وسكناته، وأما من حيث المعنى فيشبهه في دلالاته على الحال والاستقبال - كان الفعل المضارع دالاً على التجدد والحدوث - ويقصد بالحدوث التغيير - كان لابد أن يدل اسم الفاعل على شيء من دلالة الفعل المضارع، فكانت دلالة اسم الفاعل على التجدد والحدوث، وبهذه الدلالة تميز اسم الفاعل عن الصفة المشبهة، وكذلك فإن دلالاته على الثبوت ميزته عن الفعل المضارع، فاسم الفاعل يقع وسطاً

بين الفعل والصفة المشبهة، فهو أدوم وأثبت من الفعل، ولكنه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة، إذ إن لفظة (قائم) أدوم وأثبت من لفظة (يقوم)، ولكن ثبوتها لا يرقى إلى ثبوت (أحمر، أو طويل، أو دميم) فإنه يمكن الانفكاك عن القيام إلى الجلوس أو غيره، ولكن لا يمكن الانفكاك عن الطول أو الدمامة أو القصر⁽¹⁾.

صيغة اسم الفاعل :

يصاغ اسم الفاعل قياسا من الفعل الثلاثي (فَعَلَ) لازما و متعديا و (فَعِلَ) متعديا على فاعل ، صحيحا كان أو معتلا ، نحو: ضرب فهو ضارب وسمع فهو سامع ...

وتعد صيغة " فاعِل " في القرآن الكريم ، وفي اللغة العربية عموما من أكثر الصيغ شيوعا ، ذلك أن اطراد صنف من الصيغ على حساب صنف آخر يعود إلى مبدأ الاختيار والتفاصيل بين الصيغ في الاستخدام اللغوي.

وإن كان من فَعَلَ أو فَعِلَ اللازم ، فلا يأتي على وزن فاعل إلا سماعا ، نحو عَثَرَتِ المرأة فهي عاقِر وظَهَرَ فهو طاهر ... وهذا عند ابن جني من تداخل اللغات ⁽²⁾.

وهناك أوزان أخرى يأتي عليها اسم الفاعل مثل : فَعَلَ — فَعِلَ و فَعِلَ ، نحو : ضَحَخَ فهو ضَحْخَمٌ ، وجُمِلَ فهو جميل ، وكذلك فَعَلَ — أَفْعَلَ وفَعَلَ ، نحو: خَضِبَ فهو أخضِب ، وبَطَلَ فهو بَطَلٌ ، ولكن هذه نادرة .

أما قياس فَعِلَ — فَعِلَ وفَعْلَان أَفْعَلٌ ، نحو: نَضِرَ فهو نَضِرٌ وعَطِشَ فهو عطشان ، وسَوِدَ فهو أسودٌ ... غير أن هذا عند بعضهم يدخل تحت موضوع الصفة المشبهة .

دلالة اسم الفاعل الزمنية

1. دلالة على الماضي : قد بينَ فاضل صالح السامرائي مجيء اسم الفاعل الدال على الزمن الماضي بقوله: « تقول : هذا قاتِلُ زيد أي قتله ، وقد تقول : ما الفرق بين الفعل الماضي واسم الفاعل الدال على الماضي ؟ والجواب : أن اسم الفاعل يدل على ثبوت الوصف في الزمن الماضي ودوامه فيه بخلاف الفعل الماضي الذي يدل على وقوع الفعل في الزمان الماضي لا على ثبوته ودوامه . فقد تقول : قام زيد بالأمر أمس ، وتقول : هو قائم بالأمر أمس ، وتقول : حفظ سعيد أمس ، وتقول : هو حافظ أمس ، فإنك ترى أن قولك : قام بالأمر أو حفظ يدل على أن الأمر قد وقع أو قام به صاحبه بلا دلالة على الثبوت في حين أن قولك : هو حافظ أمس يدل على أن ذلك كان وصفه فيما مضى ، و بمعنى أن وصف الحفظ كان ثابتا له وأن وصف القيام كان ثابت له بخلاف قولك : قام زيد فإنه لا يدل إلا على أنه قام لا على ثبوت الوصف في الماضي » ⁽¹⁾ . كما جاء في قوله تعالى : ﴿ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض ﴾ إبراهيم : 10 ، أي بمعنى فطر دال على زمن الماضي .

2. دلالة على الاستمرارية : عندما يدل اسم الفاعل على معنى الاستمرار يفسر ذلك على أحد الوجهين: ⁽²⁾

- الأول أن يعني الاستمرار اشتغال هذه الدلالة على الحال أو الاستقبال حيناً وعلى الماضي حيناً آخر ، وهذا ما حمل الكوفيين على أن يسموا اسم الفاعل بالفعل الدائم ...

- الثاني : أن يعني الاستمرار الثبوت في الأزمنة المختلفة .. وهو الأصل فيه [وذلك] إذا أضفته إضافة محضة ، أي إضافة معنوية أو حقيقة ، فجرى مجرى الاسم الجامد ، وقد يدل في هذه الحال أيضا على الماضي ، والقرينة تفصل بين الدالتين .

« وجاء في معاني القرآن في قوله تعالى : ﴿ كَلَّ نَفْسٌ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ الأنبياء : 35 " ولو نونت في ذائقة ونصبت الموت كان صواباً ، وأكثر ما تختار العرب التنوين والنصب في المستقبل . فإذا كان معناه ماضياً لم يكادوا يقولون إلا بالإضافة فأما المستقبل فقولك : أنا صائمٌ يوم الخميس إذا كان خميساً مستقبلاً ، فإذا أخبرت عن صوم يوم خميس ماضٍ قلت : أنا صائمٌ يوم الخميس فهذا وجه العمل » (3) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْخَبْءَ مِنَ الْمَيْتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْخَبِيِّ ... فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ... وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا ... وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ... وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ... ﴾ [الأنعام 95-99] .
جاء في الكشف « فإن قلت : كيف قال : ﴿ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْخَبِيِّ ﴾ بلفظ اسم الفاعل بعد قوله ﴿ يُخْرِجُ الْخَبْءَ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ ؟ قلت : عطفه على فالق الحب والنوى ، لا على الفعل ... لأن فلق الحب

والنوى بالنبات و الشجر الناميين ، من جنس إخراج الحي من الميت ، لأن النامي في حكم الحيوان (1)

3. دلالته على الاستقبال :

وقد تأتي صيغة اسم الفاعل دالة على زمن المستقبل كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة : 30 ؛ أي سأجعل في الأرض خليفة .

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ آل عمران : 9

أي سيجمعون يوم القيامة . وقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ص : 71 ، 72 . أي سأخلق .

4. دلالته على الحال : وقد يأتي اسم الفاعل دالاً على الحالية كما في قوله تعالى : ﴿ فَمَا هُمْ عَنْ

الذِّكْرِ مُعْرِضِينَ ﴾ ، المدر : 49 ، أي حالة إعراضهم عن التذكرة ، أو تقول : مالك واقفا ؟

وهناك صيغ لاسم الفاعل في القرآن الكريم جاءت تدل على حال عارضة وهو ما كان يخص الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض المواقف ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتْرٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ، هود : 12

[والاستفهام كناية عن بلوغ الحالة حداً يوجب توقع الأمر المستفهم عنه حتى أن المتكلم يستفهم عن حصوله . وهذا أسلوب يقصد به التحريك من همة المخاطب والهابُ همته لدفع الفتور عنه ، فليس في هذا تجويز ترك النبي صلى الله عليه وسلم تبليغ بعض ما يوحى إليه ، وذلك البعض هو ما فيه دعوتهم

وجاءت كلمة (ضائق) على وزن اسم فاعل من الفعل ضاق . وإنما عدل عن أن يقال (ضَيِّق) هنا إلى (ضائق) لمراعاة النظير مع قوله : (تارك) لأن ذلك أحسن فصاحة . ولأن { ضائق } لا دلالة فيه على تمكّن وصف الضيق من صدره بخلاف ضَيِّق ، إذ هو صفة مشبهة وهي دالة على تمكّن الوصف من الموصوف ، إيماء إلى أن أَقْصَى ما يتوهم توقعه في جانبه صلى الله عليه وسلم هو ضَيِّق قليل يعرض له .

جاء في تفسير هذه الآية أن « التوقع المستفاد من (لعل) مستعمل في تحذير من شأنه التبليغ . ويجوز أن يقدر استفهام حذف أدواته . والتقدير : أَلَعَلَّكَ تارك . ويكون الاستفهام مستعملاً في النفي للتحذير ، وذلك نظير قوله تعالى : { لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } [الشعراء : 3] . والاستفهام كناية عن بلوغ الحالة حداً يوجب توقع الأمر المستفهم عنه حتى أن المتكلم يستفهم عن حصوله . وهذا أسلوب يقصد به التحريك من همة المخاطب وإلهاب همته لدفع الفتور عنه ، فليس في هذا تجويز ترك النبي صلى الله عليه وسلم تبليغ بعض ما يوحى إليه ، وذلك البعض هو ما فيه دعوتهم إلى الإيمان وإنذارهم بالعذاب وإعلامهم بالبعث ... ، فالخطاب مستعمل في حقيقته ومراد منه مع ذلك علم السامعين بمضمونه » . (1)

وجاءت كلمة (ضائق) على وزن اسم فاعل من الفعل ضاق . وإنما عدل عن أن يقال (ضَيِّق) هنا إلى (ضائق) لمراعاة النظير مع قوله : (تارك) لأن ذلك أحسن فصاحة . ولأن { ضائق } لا دلالة فيه على تمكّن وصف الضيق من صدره بخلاف ضَيِّق ، إذ هو صفة مشبهة وهي دالة على تمكّن الوصف من الموصوف ، إيماء إلى أن أَقْصَى ما يتوهم توقعه في جانبه صلى الله عليه وسلم هو ضَيِّق قليل يعرض له .

والضيق مستعمل مجازاً في الغم والأسف ، كما استعمل ضده وهو الانشراح في الفرح والمسرة . فيكون تحذيراً من أن يضيق صدره لاقتراحهم الآيات بأن يقولوا : (لولا أنزل عليه كثرٌ أو جاء معه ملكٌ) ، ويحصل مع ذلك التحذير من أن يضيق صدره من قولهم : (إن هذا إلا سحرٌ مبين) [هود : 7] ، ومن قولهم : ما يُخْبِسُ العذاب عنا ، بواسطة كون (ضائق) داخلاً في تفریع التحذير على قولهم السابقين . وإنما جيء بالضمير ثم أبدل منه لقصد الإجمال الذي يعقبه التفصيل ليكون أشد تمكناً في الذهن ... ، ومعظم المفسرين جعلوا ضمير (به) عائداً إلى (بعض ما يوحى إليك) . على أن ما يوحى إليه سبب لضيق صدره ، أي لا يضيق له صدرك ، وجعلوا (أن يقولوا) مجروراً بلام التعليل مقدرة . وعليه فالمضارع في قوله : (أن يقولوا) بمعنى المضى لأنهم قالوا ذلك . واللام متعلقة ب (ضائق) وليس المعنى عليه بالمتين ...

5. دلالة على النسب :

قد يأتي اسم الفاعل للدلالة على النسبة وذلك نحو إذا قلت رجل فارس أي صاحب فرس ، ورجل دارع ونابل وناشب ، أي صاحب هذه الآلات .

ومما ورد في القرآن الكريم ما يدل على النسبة لصيغة اسم الفاعل قوله تعالى : ﴿السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ^٤ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا^٥﴾ ، المزمّل : 18 . وهنا منقطر دالة على النسب أي : ذات انفطار ، ولم يقل منقطرة .

وأيضاً قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ^٦ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِهَمْ بَرِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ^٧ دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أُخِيتْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكِرِينَ^٨﴾ ، يونس : 22 أي ذات عصف ، بخلاف ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَلَسُلَيْمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ^٩﴾ الأنبياء : 81 . فإنه لما أراد الحدوث أثبت الصفة ، أي: تعصف .

أما في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ^{١٠}﴾ ، الحج : 02

جاء في تفسير الرازي أن « المرضة هي التي في حال الإرضاع وهي ملقمة ثديها للصبى ، و المرضع شأنها أن ترضع وإن لم تبشر الإرضاع في حال وصفها به فقليل مرضة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به وقد ألقت الرضيع ثديها نزعتة من فيه لما يلحقها من الدهشة »⁽¹⁾ ، فلو أراد ذات رضاع لجاء قوله : كل مرضع ، ولكن لما أراد التي ترضع جاءت على صيغة مرضة .

6. دلالة على الثبوت :

قد يدل اسم الفاعل على الثبوت في مواطن وعلى الحدوث في مواطن أخرى مثله في ذلك مثل الصفة المشبهة في بعض المواطن ، فاسم الفاعل يدل على الثبوت في الصفات التي تلازم الموصوف مثل: واسع القم ، بارز الجبين ، جاحظ العينين...فهنا يجري مجرى الصفة المشبهة في الدلالة على الثبوت، ومثاله في اسم المفعول كقطوع لمن قطع في حد، وموتور لمن فقد عزيزاً⁽²⁾ .

أما اسم الفاعل المضاف إلى معموله فيفيد الاستمرار وثبوت الحدث كما في قوله تعالى : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ زَاجِعُونَ^٣﴾ البقرة: 45، 46. والذي يتضح منه ثبات الخاشعين واستمرارهم في الإيمان واليقين بلقاء الله والرجوع إليه⁽³⁾

ويتبين مما تقدم أن دلالة اسم الفاعل على الحدث تعني مشابهته للمضارع وإفادته للحال أو الاستقبال أو تجاوزه ذلك بالقصد إلى دوام التجدد، وهو يعمل في هذه الحال فينصب المفعول إذا كان متعدياً أو يضاف فتكون إضافته لفظية. وقد يتحول عن مشابهة المضارع فيفيد الماضي بقرينة أو يفيد الاستمرار فيلغى عمله في الحالين ويضاف فتكون إضافة حقيقية معنوية.

المراجع

دلالة اسم الفاعل الزمنية في القرآن الكريم

د. ابن فريجة الجيلالي-المركز الجامعي-تيسمسيلت.